المحاضرة الخامسة: تصنيف الفنون

أهداف المحاضرة 05

- **الكشف عن بعض أشكال الفن**
- **تحديد تصنيف الفنون**

تجمع الأعمال الفنية بصفة عامة، سمات مشتركة، فهي جميعا تخاطب مداركنا الحسية، كالموسيقى التي نسمعها، أو مفاهيمنا الإدراكية، كالقصة التي نقوم بقراءتها؛ فكل عمل من هذه الأعمال يعرض بطريقة ما، فالشكل المنحوت، مثلا، يوضع فوق قاعدة خاصة، والمسرحية تمل على خشبة المسرح، وطريقة العرض هذه، تساعدنا في فهم ماهية هذا العمل، بوصفه عملا مكتملا، وتتفاوت درجة تعقيد مثل هذه الأعمال؛ فالمسرحية تضم شخصيات عديدة، واللوحة تتشكل من ظلال وألوان، والمقطوعة الموسيقية تضم مجموعة متنوعة من الأصوات، وينتظم العمل في وحدة متكاملة إلى حد ما.

وتختلف الأعمال الفنية في الوقت نفسه في الكثير من الجوانب المهمة، فبعضها قد يروي قصة ما، مثل الأوبرا (المسرحية الغنائية) والروايات، بينما لا يمكن لأعمال أخرى أن تؤدي مثل هذه المهمة، كلوحات رسوم الطبيعة الصامتة أو معزوفات موسيقى الحجرة، ويلزم بعض الوقت لأنواع معينة من الفنون كالموسيقى والشعر، لكي يفهم مغزاها، بينما تتكشف جوانب من الفنون الأخرى على الفور، مثل التصوير التشكيلي، إلا أن من الواجب علينا ألا نبالغ في التركيز على هذه النقطة، إذ يلزم مرور بعض الوقت لكي تفهم لوحة ما فهما تاما، تماما شأن سماع سيمفونية (معزوفة موسيقية كبرى) وبعض الأعمال الفنية تصل إلينا على الهيئة التي خرجت بها من يد مبدعها، بينما تتطلب أعمال أخرى أن تعرض أو تشرح وتفسر من قبل أشخاص أخرين.

فالأوركسترا مثلا نتولى عزف المقطوعة الموسيقية؛ بينما يقوم المهندس المعماري بتنفيذ المخطط المعماري ليخرجه إلى حيز الوجود واقعا ملموسا، ولكن السبيل الأساسي لتصنيف الأعمال الفنية يتم بناء على أنماط العناصر التي تتكون منها كل من هذه الفنون، فالفنون التي تستخدم الكلمات تختلف عن تلك التي لا تستخدمها، حيث تعطي الكلمات مفهوما معينا للفنون.

1- الفنون اللفظية: هي فنون الأدب والخطابة، ويمكن تقسيم فنون الأدب إلى الشعر والقصة والمقالة، ويقدم نقاد الأدب معايير معينة، لتمييز الأعمال الأدبية عن الأعمال المكتوبة الأخرى، مثل العلوم والتاريخ.

2- الفنون غير اللفظية: وتشمل نوعين أساسين:

- **التأليف الموسيقي:** فالأعمال التي تتألف من أنماط صوتية وطبقات صوتية أو إيقاعات، تعد مؤلفات موسيقية، ويمكن اعتبار أي نغم، مهما كان بسيطا، حتى وإن كان عزفا منفردا على الدف الذي لا نغم فيه قطعة موسيقية.

- **التصاميم البصرية:** هي الأعمال التي تتكون من أنماط من الخطوط والأشكال والألوان، ويمكن تصنيف الفنون على أسس أخرى كذلك، فالتصاميم البصرية مثلا، يمكن تصنيفها على أساس المواد المستخدمة فيها، أو طريقة إنتاج هذه التصاميم، وعلى هذا الأساس يمكن التفريق بين التصوير والطبع من جهة، والتصوير التشكيلي من جهة أخرى.

وفي مجال فنون الطبع، يمكن فصل أعمال حفر الكليشيه عن الطباعة الحجرية، كما يمكن للوحة أن ترسم بالألوان الزيتية أو الألوان المائية.

هناك مجموعة ثالثة من الفنون غير اللفظية يعدها بعض النقاد جزءا من المجموعة الثانية، وهي مواد ثلاثية الأبعاد يمكن رؤيتها من مناظير مختلفة، كما يمكننا أن نلمسها؛ وتشمل فنون النحت والعمارة وصناعة الأواني الزجاجية الرائعة والمجوهرات والأثاث.

3- الفنون المختلطة: مزيج من الفنون الأساسية؛ فالأغاني مثلا تتألف من الموسيقى والشعر، والرقص مزيج من الموسيقى والحركة، والمسرحية تشمل الحركة والكلمات والمشاهد المسرحية.

ويتساءل بعض المفكرين – أحيانا– عما إذا كانت حواس أخرى، إلى جانب حاستي البصر والسمع، تستخدم أحيانا في الأعمال الفنية، فهل يعد طعام عشاء صنعه خبراء في فن الطبخ، ويحتوي أطباقا تتدرج من الحساء إلى المكسرات عملا فنيا؟ وهل يمكن اعتبار سلسلة من العطور المختلفة عملا فنيا أيضا؟ .

4– الفن التجريدي: نوع من أنواع فن القرن العشرين ينبذ الموضوع المحدد المعالم، يسمى الفن التجريدي أحيانا فن الأهداف.

تمرد الفن التجريدي على تقاليد تاريخية عريقة في الثقافة الغربية كانت تعد الفن نوعا من الإيضاح الراقي، وكانت الأعمال الفنية تنال الإعجاب بسبب الاهتمام الذي توليه للقصة أو الموضوع الذي مثلته اللوحة، أخذت هذه الفكرة في التغير في بداية القرن العشرين الميلادي، كان الفنانون وقتئذ قد سمحوا لأدوات صناعة الصورة، الفرشاة واللون والأشكال، بأن تعتم أو تشوه الموضوع مادة الرسم، فقد اكتشف الفنانون أن المواصفات الرسمية للرسم ممتعة بحد ذاتها.

إن أول فن تجريدي أنتجه فنانون صنفوا ضمن حركات مثل الفوفية والتعبيرية والتكعيبية والمستقبلية، وقد سميت رسوماتهم بالتجريدية، رغم أن موضوع الصورة يمكن ملاحظته في أعمالهم.

"مرفأ صغير في نورماندي" (1909) لوحة لـ جورج براك Georges Braque

حذف بعض الفنانين بعد عام 1910م كل موضوع الصورة لأجل الأشكال المجردة انبثق هنا دفاعان نظريان متميزان ومتضدان لفن كامل التجريد، عمل الروحيون انطلاقا من الاعتقاد بأن عناصر الفن بإمكانها تحريك الروح مباشرة، وأن الرجوع إلى العالم المادي قد يعوق

قدرتهم في نقل الرسائل العاطفية بصورة مباشرة وقوية، كان على رأس قائمة هؤلاء الفنانين فاسيلي كاندنسكي وكازيمير ماليفيتش الروسيان وبايت موندريان الهولندي.

قامت النظرية الرئيسية الأخرى للفن التجريدي على المادية؛ فقد ظهرت أول مرة في أعمال الفنانين البنائيين في روسيا نحو عام 1915، اهتم فنهم أساسا بالجوهر والأشكال والألوان والأنماط، ورفضت رسوماتهم أسلوب الحكاية والشعر أو التجارب العاطفية.

ولكي يشكلوا بإيجابية العصر الجديد وقاعدته العلمية، فقد أصروا على الأشكال الهندسية المسطحة والألوان غير المعدلة والمسعى المجهول نحو فنهم، تشمل قائمة الفنانيين البنائيين الرواد أليسيتسكي، وألكسندر رودشينكو.

كان مصطلح الفن التجريدي أساسا مضللا لأنه يمكن أن يعني الفن ذا المضمون المتحور، لكنه لايزال ملحوظا، أو يعني الفن غير الرمزي تماما وغير الهادف.

ومهما يكن من أمر، فقد استعمل المصطلح في نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م بصورة أولية مرادفا لمعنى الفن الخالي تماما من المادة أو الموضوع مدار الرسم.

نال التجريد الكامل شهرة واسعة عبر أعمال التعبيريين التجريديين، أو مدرسة نيويورك على يد فنانين مثل جاكسون بولوك، وويلام دي كونينج، وأرشيل جوركي، وفرانز كلاين وروبرت مذرول.

- **الاستمتاع بالفن ودراسة الفنون:**

1- الاستمتاع بالفن: يدرك كل من يحب سماع الموسيقى، أو يستغرق استغراقا كليا في كتاب يتصفحه، أو من يقضي الساعات الطوال بكل سعادة، وهو يرسم لوحة فنية، عمق السعادة التي يجدها الإنسان في الفن.

وعلى الرغم من أن التعبير بالكلمات عن ماهية هذه السعادة ليس بالأمر السهل، فإنه يمكن القول إن الأعمال الفنية من الأشياء التي توفر لنا أعمق التجارب، إذ يمكن لقطعة موسيقية جميلة، أو لوحة فنية رائعة، أو مسرحية راقية أن تستحوذ على أحاسيسنا، حين نستغرق فيها كل الاستغراق، بحيث تقودنا في الاتجاه الذي تستهدفه، وتصل القطعة الموسيقية إلى نهايتها في اللحظة المناسبة، وبالأسلوب المناسب، والمسرحية تنتهي بالطريقة التي تبدو ملائمة وحتمية، وإن كانت ليست نهاية سعيدة بالضرورة.

وحين نتمعن أكثر فأكثر بلوحة رسم، فإننا ندرك أن أجزاءها إنما يستكمل بعضها بعضا، وأنها رسمت لكي يكمل بعضها بعضا، وبذلك نشعر بمدى التناسق في العمل الفني، ونحس بالانسجام والتواؤم في دخلنا أيضا. مثل مشاهدتنا للوحة الموناليزا.

الموناليزا أو "الجيوكوندا" (1503–1517) لـ ليوناردو دافنشي

وبهذا يتميز هذا النوع من الفن عن التسلية البسيطة، فالعمل الذي يمكن فهمه وإدراك كنهه بسهولة، لا يتطلب منا الكثير من الجهد، وقد يعطينا السعادة، ولكنه لا يأسر جوارحنا وعواطفنا حتى الأعماق.

وقد يصرف انتباهنا عن متاعبنا اليومية لبعض الوقت، إلا أنه لا يمنحنا التجربة الروحية الفنية التي يثيرها فينا الفن المليء بالحيوية والتناغم.

2- دراسة الفنون: لا بد لنا من بذل الكثير من الجهد لفهم الأعمال الفنية، لكي نستمتع بقيمتها الحقيقية.

فالأعمال الموسيقية والشعرية المبدعة، تثير غالبا صعوبة كبيرة، وليس لنا أن نتوقع إدراك خفاياها على الفور، كما أننا لا نستطيع دائما أن ندرك قيمتها الحقيقية بلمحة واحدة.

وقد نستمتع بالاستماع لقطعة موسيقية، ونحن نقرأ الصحيفة أو نقشر حبات البطاطس، إلا أن علينا أن نستمع إلى القطع الموسيقية الراقية بانتباه كامل، لكي نكتشف كل ما فيها من إبداع، وقد يجد بعضنا أنه لا يستمتع بنوع أو آخر من أنواع الفنون، إلا أن معظمنا يجد متعة جمالية في بعض الفنون، إذا عرفنا كيف نتعامل معها، ويجد كثير منا معينا لا ينضب على

مدى الحياة في الموسيقى والرسم والشعر، وقد نكتشف أيضا، ما إذا كانت لدينا القدرة على صنع أعمال فنية، فإذا تسنى لنا ذلك فإن هذا سيكون مصدر سعادة لا نود لأنفسنا أن نخسره.

فبعض الأطفال يتلقون دروسا في الموسيقى، ويتعلمون ترديد الأناشيد معا، ويدرسون الرسم أيضا، وقد يجرب بعضهم فن التمثيل هواية، أو يكتبون القصص والشعر، وقد يملك بعضهم مواهب عظيمة ويصبحون فنانين محترفين، بينما يبقى آخرون مجرد هواة، وحتى أولئك الذين يقتنعون بأنهم لا يمتلكون ملكات إبداعية كبيرة، فإنه يتبين لهم أن محاولة الرسم أو الكتابة إنما تعزز حدة مداركهم، وتزيد من استمتاعهم بالفنون.

وهناك منطلق نظري يمكن النظر للفنون من خلاله، فقد نشرع في التمعن في بعض المشكلات الأعمق، التي تعبر عنها هذه الأعمال، وهذا ما يسمى علم الجمال، وهذا العلم يحاول تقصي أسباب تفضيل عمل فني على آخر، وفيما إذا كانت هناك مقاييس موضوعية للنقد.